

تمهيد

عن مخطط التفطيت

قبل أكثر من خمسين عاما - فى أربعينيات القرن العشرين - نشرت مجلة وزارة الدفاع الأمريكية - «البتاجون» - Executivie Intelligence researchproject مخطط المستشرق الصهيونى «برناردلويس»، لتفتيت العالم الإسلامى - من باكستان إلى المغرب - على أسس عرقية و«إثنية» ودينية ومذهبية، وذلك حتى يزداد التشرذم فى هذا العالم - المتشرذم أصلا - فتضاف إلى كياناته القطرية - التى تزيد على الخمسين - كيانات جديدة تزيد على الثلاثين.. لتتحول كل تلك الكيانات - حسب تعبير «برناردلويس» إلى «برج ورقى، ومجتمعات فسيفسائية.. أو مجتمعات الموزايك Mosaic Society.. فيتحقق الأمن لإسرائيل لتصف قرن على الأقل»!..

ولقد تحدث هذا المخطط عن تقسيم العراق إلى دويلات ثلاث:

- ١ - دولة كردية سنية فى الشمال..
- ٢ - ودولة سنية عربية فى الوسط..
- ٣ - ودولة شيعية عربية فى الجنوب..

- وهو ما يجرى تنفيذه اليوم على أرض العراق-

وتحدث هذا المخطط عن تقسيم السودان إلى:

١- دولة زنجية مستقلة في الجنوب . .

٢- ودولة عربية في الشمال . .

- وهو ما يجرى تنفيذه اليوم على أرض السودان-

وتحدث «برنارد لويس» عن تقسيم لبنان إلى خمس دويلات:

١- دويلة مسيحية . .

٢- ودويلة شيعية . .

٣- ودويلة سنية . .

٤- ودويلة درزية . .

٥- ودويلة علوية . .

أما مصر فلقد خطط «لويس» تقسيمها إلى دولتين على الأقل!:

١- واحدة إسلامية .

٢- والثانية قبطية- في الجنوب- الصعيد-(١) . .

(١) محمد السماك (الأقليات بين العروبة والإسلام) ص ١٣١-١٣٣- ١٤٣ طبعة بيروت سنة ١٩٩٠م.

وانظر كتابنا: (الإسلام والتعددية: الاختلاف والتنوع في إطار الوحدة) ص ٢٥٧- ٢٧٣. طبعة القاهرة سنة ١٩٩٧م. وكتابنا (الأقليات الدينية والقومية: تنوع ووحدة؟ أم تفتيت واختراق؟) ص ٢٤-٤٢ طبعة القاهرة سنة ١٩٩٨.

وبعد سنوات من نشر مجلة «البتاجون» لهذا المخطط بدأ تنفيذه، فى حقبة الخمسينيات، فشرعت إسرائيل فى العمل على «تثبيت وتقوية الميول الانعزالية للأقليات فى العالم العربى.. وتحريك هذه الأقليات، لتدمير المجتمعات المستقرة، وإذكاء النار فى مشاعر الأقليات المسيحية فى المنطقة، وتوجيهها نحو المطالبة بالاستقلال..»- كما جاء بالحرف فى عبارات «بن جوريون»- بمذكرات «موشى شاريت»^(١)..

وفىما يتعلق بمصر -التي نخصصها بهذه الصفحات- ظهرت فى ذلك التاريخ- النصف الأول من الخمسينيات- «جماعة الأمة القبطية»- التي تدعو إلى «تحرير مصر من الإسلام والمسلمين»!..

وبدأت موجات الهجرات القبطية إلى الخارج -وبالذات إلى أمريكا وكندا وأستراليا-.. موجة عقب قانون الإصلاح الزراعى بمصر سنة ١٩٥٢م.. وثانية بعد تمصير الشركات الأجنبية سنة ١٩٥٧م- عقب هزيمة العدوان الثلاثى فى سنة ١٩٥٦.. وثالثة عقب قوانين التأمين سنة ١٩٦١م.. ولقد غلب على هذه الهجرات روح الثأر والانتقام من مصر ثورة يوليو، التي حرمت هؤلاء المهاجرين من الاستغلال الإقطاعى.. ومن سيطرتهم- مع أنهم أقلية- على الشركات فى حقبة سيطرة رأس المال الأجنبى المتحالف مع الاستعمار.. فالتقطت أجهزة الاستخبارات

(١) الدكتور سعد الدين إبراهيم (الملل والنحل والأعراق: هموم الأقليات فى العالم العربى) ص ٧٤٠-٧٤٨ طبعة القاهرة سنة ١٩٩٠م.

المعادية، والدوائر الصهيونية كثيرين من هؤلاء المهاجرين. . . وتكونت -منذ ذلك التاريخ- بدايات التنظيمات القبطية المعادية لوحدة مصر الوطنية ولعروبته وهويتها الحضارية الإسلامية.

● فلما جاءت حقبة الثمانينيات- من القرن العشرين- ومع النجاح الذى حققه مخطط التفتيت على جبهة موارد «المارونية السياسية» فى لبنان- أولئك الذين قالوا: «أمننا فرنسا، ونحن غرب، نعاذى العروبة والإسلام»! -تصاعدت آمال المخطط الإمبريالى الصهيونى فى تفتيت مصر. . .

فعلاوة على مشاركة عدد من الأقباط فى صفوف الموارنة بالحرب الأهلية اللبنانية!- وجدنا «وثيقة استراتيجية إسرائيل فى الثمانينيات»- التى نشرتها مجلة المنظمة الصهيونية (الاتجاهات) «كيفونيم» Kivanim فى ١٤ فبراير سنة ١٩٨٢م- تقول: «إن مصر المفككة والمنقسمة إلى عناصر سلطوية كثيرة- وليس على غرار ما هى اليوم- لا تشكل أى تهديد لإسرائيل، وإنما ضمانة للأمن والسلام لوقت طويل. وهذا فى متناول أيدينا اليوم...!»

بل وتحديث هذه الوثيقة عن أن تفتيت مصر هو مفتاح تفتيت كل بلاد العروبة والإسلام، فقالت -بالحرف-: «إن دولا مثل ليبيا والسودان والدول الأبعد منهما لن تبقى طويلا على صورتها الحالية، بل ستقتفى أثر مصر فى انهيارها وتفتيتها، فمتى تفتتت مصر تفتت الباقون. إن رؤية دولة قبطية

مسيحية فى صعيد مصر، إلى جانب عدد من الدول ذات سلطة أقلية -
مصرية، لا سلطة مركزية كما هو الوضع الآن، هو مفتاح هذا التطور
التاريخى الذى أخرته معاهدة السلام، لكنه لا يبدو مستبعداً فى المدى
الطويل...»^(١)



فنحن، إذن، أمام مخطط معلن «لانهيار مصر وتفتيتها»- ولسنا أمام
«مؤامرة سرية» ولا «هوس بنظرية وذهنية المؤامرة»- . . وفى ضوء هذا
المخطط علينا أن نرى «خارطة» كل ما يقال ويطبق اليوم باسم
الأقليات!

● من ذلك الذى أعلن -منذ سنوات- عن قيام حكومة قبطية فى
المنفى -فى ألمانيا- كبالون اختبار، وسابقة وضعت «العنوان» و«الهدف»
فى دوائر الإعلام! . . ولقد جرت الاستهانة بهذا الأمر يومئذ، وقيل:
إن صاحب هذا الإعلان مجرد «مجنون»، وهو الوصف التبريرى الذى
سبق وأطلقته إسرائيل على من قام بجريمة حرق المسجد الأقصى سنة
١٩٦٩م! . .

● إلى هؤلاء الذين يسعون -بحماسة يسمونها «روح الاستشهاد»!-
لإحياء اللغة القبطية، لا كلغة آثارية وتاريخية لأهل الاختصاص، وإنما
لتحل محل اللغة القومية -العربية-! . . حتى ليصل الأمر إلى حد أن

(١) (الأقليات بين العروبة والإسلام) ص ١٤٠-١٤٤.

يعلن الرجل الثانى فى الكنيسة الأرثوذكسية- الأنبا «غريغوريوس»- فى صحيفة «وطنى» ٣٠ يوليو سنة ٢٠٠٠م- «أن اللغة القبطية هى لغتنا بوصفنا قبطاً.. وهى تراث الماضى ورباط الحاضر!! وهى من أعظم الدعائم التى يستند إليها كيان الشعب المسيحى، وأن إهمالنا للغة القبطية كان من أكبر العوامل التى عمل بها المستعمر الدخيل فقضى على الفوارق التى كان لا بد من بقائها لتكون سوراً يحمى كياننا من الانصداع ووحدتنا من التفكك».. فهم يحيون اللغة القبطية لتكون سوراً بين «الشعب المسيحى» وبين «المستعمر الدخيل»- أى المسلمين المصريين!!.. ويصاحب هذه الجهود- التى تُبرز ويغُضّ عنها الطرف- التحول فى أسماء المواليد عن الأسماء المصرية والعربية إلى الأسماء الأوروبية الغربية.. فبدلاً من ميخائيل يسمى «مايكل»!!.. وبدلاً من بطرس يسمى «بىتر»!!.. وبدلاً من مريم تسمى «ميرى»!!.. حتى أصبح اسم مريم لا يسمى به غير المسلمين!!.. بل وشيوع عبارات من مثل «الشعب القبطى» و«الشعب المسيحى» و«الطائفة» بدلاً من «الشعب المصرى»!!..

● إلى تزايد نفوذ أقباط المهجر على كنيستهم الأرثوذكسية.. فتعداد هؤلاء المهاجرين، وإمكاناتهم المادية والأدبية، ونفوذهم وحركيتهم، وعلاقاتهم مع ولائهم للبلاد التى يحملون جنسيتها، وتسخيرهم أحياناً لخدمة المصالح الاستعمارية لتلك البلاد -وخاصة فى أمريكا-.. وكذلك زيادة الفروع الخارجية لهذه الكنيسة، ومن ثمَّ ثقل ونفوذ هذه الفروع.. كل هذا الجديد قد أحدث تطوراً نوعياً وكيفياً فى حسابات

وتوجهات الكنيسة، التى اتجهت غربا أكثر فأكثر، بعد رجحان كفة رعيته الغربية على رعيته الداخلية الوطنية.. ولقد كان دخولها فى «مجلس الكنائس العالمى»- الذى أقامته المخابرات الأمريكية، إبان الحرب الباردة، لخدمة الهيمنة الأمريكية- بعد أن ظلت هذه الكنيسة رافضة دخوله لسنوات طويلة- كان ذلك إعلانا عن هذا التحول فى التوجهات.. حتى لقد أصبح بعض الغيورين عليها- حتى من أبنائها- يخشون من اهتزاز طابعها الوطنى التاريخى لحساب الغرب والتغريب!.. (١)

بل لقد استغل هذا «التوجه نحو الغرب» تعاطف الصحوة الدينية الإسلامية، لإخافة الأقباط من المشروع الحضارى الإسلامى، وتبرير الاحتماء بالعلمانية الغربية والنموذج الغربى فى التقدم.. وذلك بدلا من إدراك حقيقة أن الصحوة الدينية هى ظاهرة عالمية، فى كل الديانات، حتى الديانات الوضعية- من الهندوسية إلى الكنفشيوسية- وأنها قد تعاطفت مع إفلاس النماذج الغربية والتغريبية التى فرضت على العالم، وتمت تجربتها على امتداد

(١) إن حقيقة رجحان كفة «خارج» الكنيسة- غير المصرى- على «داخلها» المصرى، قد أصبحت مسلمة من المسلمات.. حتى أن دفاع البابا شنودة فى قضية عزله-من قبل الدولة- على عهد الرئيس محمد أنور السادات- سنة ١٩٨١م- قد قدم هذه الحقيقة فى دفاعه أمام المحكمة الإدارية العليا-مجلس الدولة- فقال: «إن الرئيس السابق - السادات- لم يلاحظ أن المدعى- شنودة- هو بطرك الأقباط ليس فى مصر وحدها، بل فى الحبشة والسودان وأوروبا وأمريكا وأستراليا ولبنان والعراق وغيرها، وعدد الأقباط فى الخارج أضعاف عددهم فى مصر». انظر نص حثيثاى الحكم فى: الدكتور محمد مورو (يا أقباط مصر انتبهوا) ص٢٢٣. طبعة القاهرة سنة ١٩٩٨م.

قرنين فلم نحقق للإنسانية نهضة حقّة ولا تقدماً حقيقياً.. بدلا من ذلك، وبدلا من الإسهام النصراني في هذه الصحوة الإسلامية، بمنظومة القيم الإيمانية المشتركة، والسمات المشتركة في الوطنية والقومية والثقافية الواحدة والحضارة الواحدة، بدلا من التوجه شرقاً، انطلاقاً من حقائق هذه الشركة الحضارية التاريخية والدينية، تم التخويف من الصحوة الدينية الإسلامية -بالتركيز فقط على قسمة الغلو الإسلامي- لتنمية الطائفية، والتوجه نحو الغرب والتغريب!.. فتخلقت المشكلة التي لا مشكلة سواها بين المتوجهين غرباً- حتى ولو كانوا مسلمي الأسماء والآباء- وبين الأمة التي تبحث لنهضتها عن خيار نهضوى نابع من حضارتها وهويتها العربية الإسلامية..

● إلى مراكز «البحث» -في داخل مصر- تلك التي استقطبت غلاة العلمانيين، وسواقط الماركسيين، والتي تمولها- بسخاء يسيل لللعاب- الدوائر والمؤسسات الأجنبية، لتعد «الملفات» عن ما يسمى باضطهاد الأقباط وهموم الأقباط ومظالم الأقباط.. تلك «الملفات» التي تفتحها وتستخدمها الدوائر المعادية لوحدة مصر في الخارج.. حتى لقد وصل الأمر بأحد هذه المراكز «البحثية»- مركز ابن خلدون- مع الاعتذار لاسم فقيه الإسلام ابن خلدون!- أن يدعو صاحبه- الدكتور سعد إبراهيم- إلى تنفيذ المخطط الإمبريالي- الصهيونى لتفتيت العالم العربى- أكثر مما فتته اتفاقية «سيكس- بيكو» سنة ١٩١٦م- فيطالب بإقامة كيانات «فيدرالية»، تحقق «تعددية سياسية»- نعم تعددية سياسية- لكل الأقليات فى الوطن العربى «لأن المجتمعات التى تتسم بالتعددية

الإثنية فى الوقت الحالى، ينبغى أن تكون متعددة من الناحية السياسية أيضاً..!!^(١)

● وحتى قانون «الاضطهاد الدينى»- الذى أصدره الكونجرس الأمريكى فى أكتوبر سنة ١٩٩٨م- والذى وضعت تقارير المتابعة المنفذة له مصر- وعددًا من الدول العربية والإسلامية- على قائمة الدول التى تضطهد الأقليات، والمرشحة لعقاب الأمريكان!..

● وأخيراً- وليس آخراً- صناعة الزعامات الجذابة- «الكاريزمية»- مع الحملات الإعلانية التى تضيف الطابع الطائفى على توترات إجرامية أو مشكلات اجتماعية.. أو تبالغ فى أحداث لا يخلو من مثلها وأكثر منها مجتمع من المجتمعات التى تتعدد فيها الديانات والمذاهب..

وهكذا نجد أنفسنا أمام خيوط عنكبوتية، تبدأ جميعها من الغرب؛ لتعود فتخدم الغرب اللاعب الأول بورقة الأقليات- كل الأقليات، وبصرف النظر عن ديانات هذه الأقليات..

وغنى عن البيان، أن الغرب هنا ليس الإنسان الغربى، ولا العلم الغربى، وإنما هو «المشروع الغربى»، الذى يعلن أن الإسلام هو العدو الذى حل محل إمبراطورية الشر الشيوعية، والذى يريد عولمة نموذج

(١) الدكتور سعد الدين إبراهيم (التعددية الإثنية فى الوطن العربى) ص ٢١. طبعة القاهرة سنة ١٩٩٥م.

الحضارى- من الاقتصاد إلى القيم- بتهميش النماذج الحضارية غير الغربية..

وغنى عن البيان أيضاً، أن هذا المشروع الغربى لا رابطة بينه وبين المسيحية الشرقية- ومنها الأرثوذكسية المصرية- فهذه الأرثوذكسية، فضلاً عن أنها جزء من نسيجنا الوطنى والقومى والحضارى والثقافى والقيمى، فإن مسيحية الغرب لا تعترف بمسيحياتها؟! .. وإنما يتخذ الغرب الاستعمارى - والصهيونية- منها «ورقة» يلعب بها فى معركته ضد الاستقلال الحضارى للشرق، واليقظة القومية لأمنه وشعبه.. فالإسلام والمسيحية الشرقية فى خندق وطنى وقومى وحضارى واحد تجاه المشروع الغربى- الإمبريالى الصهيونى-.. بل إن هذه المسيحية الشرقية هى والإسلام وحدة واحدة فى «النسق الأخلاقى» و«منظومة القيم الإيمانية».. وهى، فى هذه المنظومة القيمية، على العكس والنقيض من منظومة القيم الغربية، التى لم تعد مسيحية، والتى ذهبت فى الوضعية والمادية والانحلال حداً لا يرضاه أى دين من الأديان، سماوياً كان هذا الدين أو وضعياً!..

ولقد أدرك العقلاء من زعماء النهضة الإسلامية هذه الحقيقة، منذ أن شرع الغرب يمد حبال وشباك الغواية لاصطياد الأقليات المسيحية الشرقية، كجزء من حربه للشرق والإسلام.. فقال عبد الرحمن الكواكبي (١٢٧٠- ١٣٢٠هـ- ١٨٥٤- ١٩٠٢م) لمسيحي الشرق: «أليس مطلق العربى أخف استحقاراً لأخيه من الغربى؟». هذا الغربى قد أصبح مادياً لا دين له غير الكسب، فما تظاهره مع بعضنا بالإخاء

الدينى إلا مخادعة وكذباً وما دعواه الدين فى الشرق إلا كما يغرد الصياد وراء الشباك!»^(١)

وقال ميشيل عفلق (١٣٢٨-١٤٠٩هـ - ١٩١٠-١٨٨٩م): «إن المسيحيين العرب عندما تستيقظ فيهم قوميتهم سوف يعرفون أن الإسلام هو لهم ثقافة قومية يجب أن يتشبعوا بها ويحبوها ويحرصوا عليها حرصهم على أئمن شىء فى عروبتهم. فلا يوجد عربى غير مسلم!، فالإسلام هو تاريخنا وهو بطولاتنا، وهو لغتنا، وفلسفتنا ونظرتنا إلى الكون.. إنه الثقافة القومية الموحدة للعرب على اختلاف أديانهم ومذاهبهم.. وبهذا المعنى لا يوجد عربى غير مسلم، إذا كان هذا العربى صادق العروبة، وإذا كان متجرداً من الأهواء.. ولئن كان عجيب شديداً للمسلم الذى لا يحب العرب، فعجيب أشد للعربى الذى لا يحب الإسلام..»^(٢)

فالمسيحية الشرقية جزء من «ذاتنا» الوطنية والقومية والحضارية..
بينما الغرب هو «الآخر»، بالنسبة لنا جميعاً، مسلمين ومسيحيين..



إن تعداد المسلمين قد قارب ربع البشرية، وليس هناك عاقل يطمع فى إحلال الإسلام محل النصرانية، بإدخال الأقلية النصرانية فى الإسلام..

(١) (الأعمال الكاملة) ص ٢٠٨. دراسة وتحقيق: الدكتور محمد عمارة. طبعة بيروت سنة ١٩٧٥م.

(٢) (الكتابات السياسية الكاملة) ج ٣ ص ٣٣، ٢٦٩، ج ٥ ص ٦٨ طبعة بغداد سنة ١٩٨٧م، سنة ١٩٨٨م.

فالأصل والقانون، فى الإسلام، هو التعدد فى الشرائع والملل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرْعَةً وَمَنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة: ٤٨].

ومن الجنون أن تتصور الأقلية النصرانية إمكانية تفريغ الوطن من المسلمين، الذين يكونون ٩٥٪ من سكانه. . . وحرام أن يندفع البعض بغواية الغرب، التى سبق ومارستها الإمبراطوريات الاستعمارية التى سبقت أمريكا إلى اللعب بورقة الأقليات. . . من روسيا القيصرية الأرثوذكسية. . . إلى فرنسا الكاثوليكية. . . وحتى إنجلترا الإنجيلية. . . فلقد طويت صفحات هذه الإمبراطوريات، وذهب عملاؤها إلى مزبلة التاريخ! . . . وبقي الإسلام الحضارى صيغة نهضوية لكل شعوب الشرق، التى تستيقظ اليوم متخذة من نموذج الحضارى الشرقى سبيلها إلى التقدم والنهوض. . .

فالمشروع الإسلامى الإيمانى هو الضمان لازدهار الإيمان المسيحى فى الحضارة الشرقية. . . بينما المشروع الغربى الوضعى والمادى والعلمانى هو مقبرة كل ألوان الإيمان الدينى. . .

وقديماً، ومنذ سنة ٧هـ سنة ٦٢٨م قال حاطب بن أبى بلتعة (٣٥هـ - ٣٠هـ - ٥٨٦ - ٦٥٠م) للمقوقس - عظيم القبط فى مصر - عندما حمل إليه رسالة رسول الإسلام ﷺ: «إن لك ديناً لن تدعه إلا لما هو خير منه، وهو الإسلام، الكافى به الله فقد ما سواه. وما بشارة موسى بعيسى

إلا كبشارة عيسى بمحمد، وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل. ولنسا نهاك عن دين المسيح، ولكننا نأمرك به^(١)..».

ولقد كان حاطب- فى ذلك- يصدر عن منهاج النبوة، الذى تعلم منه قول رسول الله ﷺ، عن المسيح عليه السلام: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم فى الدنيا والآخرة. الأنبياء إخوة، أولاد علات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد. وليس بيننا نبي^(٢)..».

فحرام أن يفرق الغرب المادى الاستعمارى ما جمعته منظومة القيم الإيمانية الموحدة لأتباع أحمد والمسيح، عليهما السلام.. وما وحدته الثقافة واللغة والوطنية والقومية والحضارة، عبر تاريخنا الطويل.. وخصوصاً عندما نكون جميعاً ركاب سفينة الوطن الواحد، الذى يعيش فينا كما نعيش فيه..



إن الوطن هو السفينة التى لا مكان لأى من ركايبها خارج حرمها وأمنها وأمانها.. وإذا خرقها الأعداء أو العملاء أو الدهماء غرق جميع من عليها بلا استثناء، وغرقت معهم كل العقائد والمذاهب والمصالح والطموحات.. ولقد علمنا الإسلام منهاج وقاية الأمة من نزق القلة، عندما قال القرآن الكريم: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥].. وعندما رسم

(١) ابن عبد الحكم (فتوح مصر وأخبارها) ص ٤٦. طبعة ليدن سنة ١٩٢٠م.

(٢) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والإمام أحمد.

رسول الله ﷺ، هذا المنهاج فى «حديث السفينة» - الذى رواه النعمان ابن بشير- فقال: قال رسول الله ﷺ: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم ركبوا سفينة فى البحر، فأصاب بعضهم أسفلها وأصاب بعضهم أعلاها، فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا الماء مروا على من فوقهم فأذوهم، فقالوا: لو خررنا فى نصيبنا خررنا فاستقينا منه ولم نؤذ من فوقنا؟ فإن تركوهم وأمرهم هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا جميعاً»^(١) . .

وإذا كان الضرب على الأيدى -أيدى الذين يحاولون خرق السفينة- هو شأن القابضين على سلطان الدولة والقائمين على تطبيق الدستور والقانون . . فإن مهمة الفكر هى تمييز الخبيث من الطيب فى عالم الأفكار والتوجهات، وتبيان الحقائق من الأكاذيب فى الدعاوى والادعاءات . . فهذا هو الميثاق الذى أخذه الله على أهل العلم: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنَهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧] .

إن حرية الوطن رهن بحرية جميع أبنائه، من كل الطبقات والديانات والمذاهب . . وسيظل العدل منقوصاً إذا ما حاق الظلم بأحد من المواطنين . . ولن تتحقق حرية الكاتب والمفكر إذا كان فى وطنه من يرسفون فى الأغلال والأصفاد . . وإذا كان رسول الله ﷺ، ينبئنا -ويحذرنا- من أن ذمة الله بريئة من أى جماعة -صغيرة أو كبيرة- تبنت شعبى وفيهم امرؤ واحد جائع . . «أما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائع فقد برئت منهم ذمة الله تعالى»^(٢) . . فما بال الذين يرضون بأن يقع

(١) رواه البخارى والترمذى والإمام أحمد .

(٢) رواه الإمام أحمد .

الظلم على جماعة من الجماعات، سواء أكانت أقلية تظلمها الأغلبية، أم أغلبية تستعدي عليها الأقلية الظلمة والطغاة؟! ..

إن الإسلام الذي يعلمنا وجوب العدل حتى مع من نكره من الأعداء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨] .. إن هذا الإسلام هو الذي حرر النصرانية المصرية وكنيستها، فأنقذهما من الإبادة الرومانية المحققة، حتى لنستطيع أن نقول بأعلى الأصوات: إن النصرانية المصرية، ومعها كنائسها ومؤسساتها ورعيتها، هي هبة الإسلام.

وإذا كان الإسلام قد جاء إلى مصر من شبه الجزيرة العربية، فإن النصرانية قد وفدت إلى مصر من فلسطين.. والأقدم منهما معا -في مصر- هي عبادة العجل أبيس!! ..

وإذا كانت «الدولة» الإسلامية قد جاءت إلى مصر مع الفتح الإسلامي، فهي قد حلت محل «الدولة» الرومانية الاستعمارية، التي قهرت أهل مصر ونصرانيتهم، ولم تحل «الدولة» الإسلامية محل دولة نصرانية مصرية.. فليس في النصرانية «دولة».. ومصر لم يحكمها نصراني من أهلها عبر التاريخ! .. وإنما ظلت النصرانية المصرية عقيدة مطاردة وهاربة حتى جاء الإسلام ودولته فأمنت لأول مرة في تاريخها! ..

وإذا كانت العربية قد وفدت إلى مصر مع الفتح الإسلامي، فلقد حلت

-باختيار أهلها- محل اللغة التي قهرها الاستعمار الرومانى حتى كتبت بالحروف اليونانية..

وإذا كانت الشريعة الإسلامية قد وفدت إلى مصر قبل أربعة عشر قرناً، فلقد حلت محل القانون الرومانى -القانون الوافد للدولة الغازية المستعمرة.. قانون «جستنيان» (٥٢٧-٥٦٥م)- الذى أحرق فى الإسكندرية وحدها -فى ليلة واحدة- ٢٠٠,٠٠٠ من نصارى مصر.. بينما هرب الناجون من الحرق إلى الصحراء!!.. ولم تحل الشريعة الإسلامية محل قانون نصرانى مصرى- فليس فى النصرانية قانون للدولة والمدنية والاجتماع-.. وفقه الشافعى (١٥٠-٢٠٤هـ- ٧٦٧-٨٢٠م) المصرى أولى بمصر وهى أولى به من فقه نابليون (١٧٦٩-١٨٢١م).

ولأن الإسلام قد حرر النصرانية المصرية، ووضع عن أجدادنا أقباط مصر الأغلال التى كبلتهم وقهرت ثقافتهم ولغتهم وعقيدتهم وحضارتهم لعدة قرون -قراية الألف عام من فتح الإسكندر الأكبر (٣٥٦-٤٢٤ق.م) فى القرن الرابع قبل الميلاد -إلى الفتح الإسلامى- فى القرن السابع للميلاد- .. فلقد اندمجت مصر فى الإسلام والعربية كما لم يندمج مجتمع من المجتمعات التى دخلت الإسلام.. فدخلت أغلبية أهلها فى الإسلام: العقيدة والشريعة والقيم والفقه واللغة والثقافة والحضارة.. ودخلت الأقلية التى بقيت على نصرانيتها فى الإسلام: القيم والثقافة واللغة والحضارة والقانون، فكانت «السيكة المصرية» الواحدة، التى أسهمت فى الحضارة الإسلامية، بعد أن استوعبت

الموارث الحضارية الضاربة فى عمق أعماق التاريخ . . فعدت هذه الحضارة الإسلامية -بعبارة الفقيه القانونى والقاضى العادل الدكتور عبد الرزاق السنهورى باشا (١٣١٣-١٣٩١هـ-١٨٩٥-١٩٧١م)- «الميراث الحلال للمسلمين والمسيحيين المقيمين فى الشرق، فتاريخ الجميع مشترك، والكل تضافروا على إيجاد هذه المدنية^(١)» .

فحرام على ورثة هذا الميراث العظيم والنفيس والفريد، أن يفرطوا فيه تفريط السفهاء الذين لا يعرفون قيمة ونفاسة وعظمة وفراة ما أورثهم الآباء والأجداد . .

وإذا كانت مهمة الفكر هى إيقاظ العقول لتأليف القلوب -بالحقائق لا بالكاذيب . . . فليس كصراحة الحقائق سبيل لإيقاظ العقول . . وليس كالعقول اليقظة سبيل لتأليف القلوب المخلصة لسفينة الوطن، الذى يعيش فىنا كما نعيش فيه . .



(١) (عبد الرزاق السنهورى من خلال أوراقه الشخصية) ص١١٨ ، ١٤٨ إعداد: الدكتور نادية السنهورى، دكتور توفيق الشاوى . طبعة القاهرة سنة ١٩٨٨م .